# أبو بكر الرازي رائد الطب السريري في كتابه الحاوي في الطب

**أ.د.انعم رشيد الصالحي**
**عميد معهد أبحاث الأجنة وعلاج العقم**
**جامعة النهرين**

## نشأته وحياته

في مدينة الري القريبة من طهران الحالية ولد ابو بكر محمد بن يحيى بن زكريا الرازي سنة ٢٥١هـ/٨٦٥ م وسميً بالرازي نسبة الى مدينة الري ٠ أحب الرازي الغناء والضرب على العود في بداية حياته ثم هجر ذلك كله واتجه الى الطب والكيمياء ٠ درس الطب في شبابه في بغداد وقد اخطأ بعض المؤرخين في ظنهم ان الرازي قد تعلم الطب بعد ان كبر في السن٠

وبعد اتمام دراسته الطبية في بغداد،عاد الرازي الى الري بدعوة من حاكمها منصور بن اسحاق ليتولى ادارة مستشفى الري٠ ألف الرازي لهذا الحاكم كتـــــابه (المنصوري في الطب) ثم (الطب الروحاني) وكلاهما متهم للاخر،فيختص الاول بأمراض الجسم والثاني بأمراض النفس٠

أشتهر الرازي في مدينة الري،ومنها انتقل ثانية ليتولى رئاسة المستشفى المعتضدي الجديد الذي أنشأه الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩-٢٨٩ هـ/٨٩٢-٩٠٢ م)وقد اخطأ ابن ابي اصيبعة حين اشار الى البيمارسان العضدي الذي انشأه عضد الدولة ابن بويه ذلك ان الرازي كان اقدم زمناً من عضد الدولة (توفي في ٣٧٢ /٩٧٣ م)(١) وقد امضى الرازي الشطر الاخير من حياته في مدينة الري واصابه الماء الازرق في عينيه وثم فقد بصره وتوفي في مسقط رأسه اما في سنة ٣١٣ هـ/٩٢٣ م او في سنة ٣٢٠هـ/ ٣٣٢ على اقوال٠(٢)(٣)

## سيرته

كانت سيرة الرازي سيرة تواضع وتقشف ، يقول في كتاب (السيره الفلسفية) (ولا ظهر مني على شره في جمع المال وسرف فيه ولا على منازعات الناس و مخاصماتهم وظلمهم،بل المعلوم مني ضد ذلك كله والتجافي عن كثير من حقوقي ٠ واما حالتي في مطعمي ومشربي ولهوي فقد يعلم من يكثر مشاهدة ذلك مني اني لم اتعد الى طرف الافراط وكذلك في سائر احوالي مما يشاهده هذا من ملبس او مركوب او خادم او جارية)٠ **(٣)**

كان الطبيب في عصر الرازي فيلسوفاً،وكانت الفلسفة ميزاناً توزن به الامور والنظريات العلمية التي سجلها الاطباء في المخطوطات القديمة عبر السنين وكان

الرازي مؤمناً بفلسفة سقراط الحكيم(٤٦٩ ق٠م٠-٣٩٩ ق٠م٠)ويقول ان الفارق بينهما في الكم وليس الكيف٠
ويتكلم الرازي كأستاذ عالم ناقد فقال (لكن صناعة الطب كالفلسفة لاتحتمل التسليم للرؤساء والقبول منهم ولامساهمتهم وترك الاستقصاء عليهم٠ ولا الفيلسوف يحب ذلك من تلاميذه والمتعلمين منه٠ وأما من لامني وجهلني في استخراج هذه الشكوك والكلام فيها،فأني لا ارتفع به ولاأعده فيلسوفاً،اذ كان قد نبذ سنة الفلاسفة وراء ظهره وتمسك بسنة الرعاع من تقليد الرؤساء وترك الاعتراض عليهم)٠
ويؤمن الرازي بأن ( الصناعات لاتزال تزداد وتقرب من الكمال على الايام وتجعل ما استخرجه الرجل القديم في الزمان الطويل (في متناول) الذي جاء بعده في الزمان القصير حتى يحكمه ويصير سببا يسهل له استخراج غيره به فيكون مثل القدماء في هذا الموضوع مثل المكتسبين ومثل من يجيىء من بعد مثل المورثين المسهل لهم ماورثوا اكتساباً اكثر و اكثر)٠ **(٣)**

## الرازي طبيباً

تميزت طريقة الرازي في العلاج بتفردها اذ انه كان يتعرف اولاً على اعراض المرض في دقة وصبر ثم يحصر الاحتمالات التي تشير الى حقيقته،ثم يستبعد منها ماتوحي خبرته وملاحظاته بضرورة استبعاده،فاذا عرف المرض وتأكد منه وصف له العلاج وتتبع حالة المريض وكان النجاح يحالفه في اكثر الحالات التي عرضت عليه٠
اعتاد الرازي على "تقديم النصائح لتلاميذه مثل ينصح تلاميذه ان يساعدوا الفقراء وان يعالجوهم مجانا" ، اويعلمهم ان مهنتهم مهنة الرحمه بالضعفاء والمعذبين وان عليهم مساعدة مرضاهم على الشفاء بالكلمة الطيبة واحياء الامل في نفوسهم ورفع روحهم المعنوية ٠ كما ينصحهم بالمداومة على القراءة والاطلاع والبحث في المراجع الطبية مهما بلغوا من العمر او الخبرة ، كما نصحهم بالتعفف عند الكشف على النساء والالتزام بالشريعة الاسلامية السمحة ونهاهم عن الكبر والخيلاء٠**(٤)**
واعتاد الرازي ان يشرك تلاميذه في استشاراته الطبية ، فكان يجلس في بهو المستشفى الكبير ومن حوله الاطباء اصحاب الخبرة في الدوائر القريبة منه ثم الاطباء المبتدئون في الدائرة الخارجية ٠ وعند حضور احد المرضى يعرض حالته اولا" على المبتدئين فإذا صعب عليهم الى الدائرة الداخلية ليفحصه الاطباء المتمرسون ، وأذا ما عجزوا عن تشخيص حالته المرض يتولى الرازي عندئذ بنفسه فحص المريض ومعالجته٠
في مكتبة البيمارستان ( المستشفى ) كان الرازي يقراء على تلاميذة ماقاله الفلاسفه من الاطباء القدماء عن الامراض المختلفة ، وكان من رأيه انه يجب على الاطباء ان يعرفوا تشريح اعضاء الجسم ، لذلك كان يأتي بالقرود من بلاد زنجبار في افريقيا

ويجري عليهم تجارب امام تلاميذه ، فإذا نجحت التجربة على الحيوان يقوم بأجراءها على الانسان٠(٥)
والرازي من اشد المعجبين بجابربن حيان ، فحرص على قراءة مؤلفات واجرى مئات التجارب الكيميائية وكان دائم البحث عن ادوية جديدة ووسائل مبتكرة تنفع في علاج المرضى ، فحصل على الكحول من تقطير المواد النشوية والسكرية المتخمرة واستعمله في علاج بعض الامراض ، ووضع الادوية الطبية ، واخترع الانبوب الذي يخرج الدم الفاسد خارج الجرح ، ونجحت تجاربه في خياطة انسجة الجسم الداخلية بخيوط تصنع من امعاء الحيوانات ٠
ومن اهم انجازات الرازي العلمية والطبية أكتشافه مرض الحساسية وكذلك اليرقان الناجم عن تكسر الدم وميّز بينه وبين التهاب الكبد ، واكتشف مرض الحصبة وميّز بينه وبين مرض الجدري ، واستعمل خبرته في الكيمياء في ادخال بعض المركبات الكيميائية لاول مرة في العلاج ٠
يُعد الرازي من اوائل الاطباء الذين يعالجون مرضاهم باسلوب نفسي دون استخدام العقاقير ادوية ويأتي بالقصاصين الى المستشفى ليقصّوا على المرضى القصص والحكايات ليرفهوا عنهم وينسوا آلام المرض٠(٤)(٦)

## كتاب الحاوي في الطب

يذكر كل من ابن النديم والقفطي ان الرازي ، كان قد دوّن اسماء مؤلفاته في (فهرست) وضع لهذا الغرض ،ومن المعروف ان النسخ المخطوطة لهذه المقاله قد ضاعت مع بعض مؤلفات الرازي ٠ ويزيد عدد كتب الرازي على المائتي كتاب في الطب والفلسفة والكيمياء وفروع المعرفة الاخرى،ويتراوح حجمها بين الموسوعات الضخمة والمقالات القصيرة،ويجدر بنا هنا ان نوضح الابهام الشديد الذي يشوب كلاً من (الحاوي في الطب) و (الجامع الكبير) اذ اخطأ مؤرخو الطب القدامى و المحدثون في اعتبار العنوانين وكأنها لكتاب واحد فقط وذلك لتردف معنى كلمتي الحاوي و الجامع٠(٧)
اما كتاب الحاوي في الطب فهو من مفاخر الحضارة العربية الاسلامية ، وفيه يتجسد كما تقول المستشرقة الالمانية (زيغريد هونكه) كل ما امتاز به الطب العربي الاسلامي وما حققه من انجازات باهرة٠(٨) ويتألف الكتاب من (١٢) باباً يجمعها قسمان اساسيان، القسم الاول يبحث في الاقرباذين(اي علم التداوي والعقاقير والادوية)و القسم الثاني هو القسم الذي سجل الرازي فيه ملاحظاته التي تتعلق بدراسة سير المرضى وتطور حال المريض مع الدواء المتعاطى٠ وقد ذكر ان الرازي انفق في تأليفه خمسة عشر سنة يعمل فيها في هذا الكتاب معظم وقته ، ومات من غير ان يبيضه٠ وقد بذل الوزير ابن العميد الى اخت الرازي مالاً كثيراً حتى اعطته مسوداته وجمع تلاميذ الرازي فرتبوا الكتاب وهذا السبب الذي جعل الكتاب يشوبه نوع من الاضطراب خرج الكتاب ويبدو عليه الاضطراب٠(١)

تألف كتاب الحادي من مجموعة محاضرات سريرية كان يلقيها الرازي على طلبته ومساعديه لذا لايمكن لنا ان نقيسه بغيره من الكتب المرتبه التي الفها الرازي كا(لكافي) و(المدخل) و (المنصوري)٠
وفي كتاب (كامل الصناعة) لعلي بن العباس المجوسي وصف مسهب لكتاب الحاوي في الطب قال فيه:"اما كتابه المعروف بالحاوي فقد ذكر فيه جميع ما يحتاجه المتطببون غير انه لم يذكر فيه شيئاً من الامور الطبيعية، كعلم الاستقصات والامزجة و الاخلاط وتشريح الاعضاء ولاجزأه بالمقالات والفصول والذي لاح لي من امره أو أتوهمه انه وضعه ليكون تذكرة له خاصة".
ترجم (الحاوي في الطب) الى اللاتينية من قبل فرج بن سالم اليهودي بأمر من شارك أنجو ملك نابولي وصقلية وطبعت هذه الترجمة لاول مرة في ايطاليا في سنة (٨٩١ هـ - ١٤٨٦ م) فكان اضخم كتاب طبع بعد اختراع المطبعة مباشرة وقد اعيد طبعه مراراً في البندقية خلال القرن السادس عشر الميلادي٠**(٩)(١٠)**

## الطب السريري والملاحظات السريرية في كتاب (الحاوي)

يهتم الطب السريري بالمريض وتفاعله مع المرض من خلال ما يظهر على المريض من اعراض وعلامات تتم ملاحظتها والتحقق منها واختبارها٠ وتعني الملاحظات السريرية او الوقعات السريرية عرض سير المرض من بدايته وملاحظة تطوره تاريخياً وتدوين اي عارض او طاريء جديد يظهر عليه بتسلسل زمني منتظم حتى شفاء او موت المريض٠ ويتم ذكر اي علاج يوصف ان كان في صالح المريض اوبخلاف ذلك٠ ويتم ذلك بأسلوب (علمي-طبي-قصصي) الغاية منه الفائدة التعليمية والتوجيهية وسندرج في مايلي بعضاً مما حمله كتاب (الحاوي في الطب) للرازي من ملاحظات سريرية وسندرج هذه الملاحظات كما وردت في الكتاب يعقبها اشارة الى موضعها فيه ثم سنضيف تعليقاً عليها في ضوء مايراه الطب الحديث٠**(٧)**

## الملاحظة الاولى

(رأيت رجلين يهيج بهما الوجع اذا كان بعد اكلهما بخمس او ست ساعات ، وكان احدهما شيخا" قضيفا" ( نحيفا") جدا" يابس المزاج ، والاخر على نحو ماكان عليه الشيخ من يبس المزاج الا انه كان شابا ٠ وكان الشيخ لايسكن عنه الوجع حتى يتقيأ رقيقا" حامضا تغلي منه الارض والشاب لايقيء ٠ وبما ينفعهما مما جربت ان يأكلا في مرات غذاء قليل الكمية كثير الكيفيه ولا يشربا تجرعا حتى يذهب وقت الوجع ثم يشربا ، فأنتفعا بذلك ويمكن ان تكون هذه العلّه لان اسفل المعدة قد صار مزاجها هذا المزاج فتقلب الغذاء ، فأذا ماس المعدة اوجع )) أ٠٥٠ ( الحاوى ج ه ص ٧٦-٧٧ )٠
ان هذه الحالة هي حالة قرحة معوية او في الاثنا عشرى peptic ulcer والرازي يقترح تعدد وجبات الطعام وعلى طول ساعات اليوم ويبدو انهما تحسنا تحسنا ملحوظا بعد اتباعهما لهذا العلاج٠

**الملاحظة الثانية**

( رأيت أمرأة تجوع ولا تشبع ويعرض لها لذع في المعدة وصداع فسقيتها ايارجا ( معجون مسهل ) فأسهلتها حبيات طوالا، الواحدة اثنا عشر ذراع ، او اكثر ، فسكنت عنها تلك الشهوة المفرطة وعلمت ان ذلك كان من اجل امتصاص تلك الحيات كل ما كانت تأكله) أ٥٠ ٠ ( ج ٥ ص ٩١- ٩٢ )

لعل هذة الديدان (الحيات) كانت ديدان شريطيه taenia saginata وان هذه الاعراض هي نتيجة الاضطراب في الجهاز الهضمي لوجود عدد كبير من هذه الديدان في امعاء المريض ٠

**الملاحظة الثالثة**

(رأيت رجلا كان اذا أكل غدوة هاج به وجع بعد عشرة ساعات او اقل حتى تقيأ شيأ كالخل يغلي الارض منه ، ثم يسكن وجعه وارى ذلك لشدة برد في معدته وعلاجه شراب صرف وتسخين المعدة والاغذية البعيدة من الحموضة او الدخانيه ( كالدخن المقلي ) والعسل وتكون قليلة) أ٥هـ ٠ (الحاوى ج ٥ ص ٧٤ )

من اعراض هذا المرض ان هذا المريض يشكو من التهاب في المعدة Gastritis وان الرازي وصف له اطعمه مغذية سهلة الهضم٠

**الملاحظة الرابعة**

( رأيت أمرأتين ورجلا قد اعتقلت طباعهم ( اصابهم امساك ) اياما كثيرة واشتد بهم الفشى والقيء ويتجشؤا جشاءا منتنا غاية النتن وتخلصوا وبرؤا منه ، الا انه كان يتعاهدهم بعد ذلك ٠ واما سائر من رأيت في غير البيمارستان ( المستشفى ) فماتوا ومن هؤلاء أمرأة ورجل حقنا بحقنة في غاية القوة ومن عادة استعمالها في هذاالوجع فنجوا )) أ٥ هـ ٠ ( الحاوى جـ٨ ص ١٤٥ )

لعل الحالات المذكورة هي حالات المذكورة هي حالات انسداد المعي obstruction Intestinal نتيجة لالتواء الامعاء او المعدة volvulus ٠

**الملاحظة الخامسة**

( ابو عمربن وهيب اصابه وجع في كبده وحّم ٠ وظهر به يرقان غليظ جدا"حتى كان عينه قطعة عصفر في اليوم الخامس ٠ واحتبس بوله في التاسع ، وكان لايبول الا شيئاً يسيرا" نزرا ، مقدار ثلاث قطرات كأنه ما في جوف المرارة ٠ وأختلف اختلاف السوداء اسود وكان بوله في الخامس اسود ثم صار احمر عليه زبد أصفر لما كان في الليل الحادية عشر رعف من المنخر الايمن رعاقا" صعبا" ثم مات في الليلة الثالثة عشرة ولم يزل صحيح العقل ثابتا" ، وهاج به فواق وزكام ورم الكبد ظاهرا للحس) أ٥هـ٠ (الحاوي ج ٢ض١٢٥)

تفهم الحالة على الوجه التالي:-

اصيب الرجل بحمى ووجع في منطقة الكبد تلاه في اليوم الخامس ظهور اليرقان jaundice ومتابعة اصفرار لون الجلد وتلون بياض العينيين باللون الاصفر واصطباغ البول باللون البني وفي اليوم التاسع اصيب بأحتباس البول oliguria وتوفي في اليوم الثالث عشر ٠ والراجح ان الرجل كان يشكو من التهاب الكبد hepatitis ومما يدعم ذلك وجود الحمى والوجع في منطقة الكبد وظهور اليرقان ٠ اما الرعاف epixtaxis الذي اصابه في اليوم الحادي عشر فقد كان بسبب عجز الكبد عن صنع مادة البروثرومبين prothrombin التي تساعد على تخثير الدم ٠ اما الشهقه hiccup فهي بسبب تهيج الحجاب الحاجز وضغط الكبد عليه٠ويبدو انه مات بالعجز الكبدي الكلويhepato-renal shut down

## الملاحظة السادسة

رجل نالته شوصة (وجع الاضلاع من داخل واختلاج العرق) فلم يفصد وضمد وسكن وجعه وركبته بعد ايام نافض في اليوم مرات وحمى عقبه مختلطة،لم التفت انا الى الحمى لاني علمت ماهي فصرفت عنايتي كلها الى تقوية القوة لاني علمت انه سيمبث سريعاً رمده(الصديد والقيح) وانه يحتاج الى قوة قوية لينقى فأطعمته خبزا ولحم حمل وشراباً بمقدار معتدل فوقع بحيث خمنت،وان الحمى والنافض انما هاجا عندما اخذ الخراج ينضج وسكن الوجع بما عمل مدة واستزاد ذلك يقينا لم يكونا يهيجان حمى بعد ذلك اصلا فانه قد كانت به حمى صعبه وسهر واعراض ذات الجنب ثم سكن ذلك كله ولم يتدبربما يوجب هيجان حمى اخرى فلما هاجت دل على ان ذلك كما ذكرت) ٠ ١هـ الحاوي ج٤ ص ١٧٨-١٧٩

ان هذه الحالة واضحة فقد شخص الرازي ذات جنب اصابت المريض مما سبب له الشوصة او الم غشاء الجنب( Pleuritic Pain)وسرعاً ركبه نافض او حمى راعبة ( Rigor ) عقبها حمى مختلطة ذات صعود وهبوط (Hectic Temp ) دلالة على تكون الخراج ونضجه أي ان احالة هي الحالة خراج في الرئة ( Lung Abscess ) اما علاج الرازي فكان بتقوية المريض بالاغذية المقوية( Supportive Treat )٠

## الملاحظة السابعة

رأيت فتى سكنت حماه في ذات الجنب واشتد فيه ضيق النفس ثم بدت به علامات التقيح ونفث مدة ، فسقيته مايسهل النفث وكان يخرج منه القيح بسهوله وسعلة او سعلتين مايملاء حتى انه كاد يشككني في رأيه وسلوك المدة وكان يخرج في كل يوم مرة او مرتين على هذا ثم سكن السعال ورأيت اخرين عسر خروجه منهم وكلهم ماتوا وقد رت انه خرج من هذا الفتى عشرون رطلا من ذلك القيح ٠ ١ هـ الحاوي ج ٤ ص ١٨٥ لعل هذا المريض كان يشكو من توسع القصابت الصديدي(Bronchiactasis ) مع عسر في التنفس (dyspnea).

**الملاحظة الثامنة**

رأيت مرة شريانا فصد فوضع رجل اصبعه على فم العرق مدة طويله نحو ثلاث ساعات صابر على ذلك فلما رفع عنه لم يسل الدم وكان جمد في الفوهة علقة صلبه)١هـ ج١٢ ص٢٢٥ .

**الملاحظة التاسعة**

امرأه قطعت لها جهارك ( اربعة عروق تكون في الشفتين اثنان في العليا واثنان في السفلى) فعولجت ليرقأ دمها فامنتع فجئت بثلج فجعلت اعطيها قطعة بعد قطعة الى ان خدر فمها فامسك الدم٠

اهـ الحاوي ج١٢ ص٢٤٤ ٠

في الحالتين السابقتين امثلة على طرق السيطرة على النزيف بواسطة الضغط أو تبريد الفم بواسطة الثلج

**الملاحظة العشرة**

جائني رجل يشكو الي خفقان فؤاده فوضع يدي على يده اليسرى فأحسست شريانه الاعظم ينبس نبضا لم ارى مثله قط عظما وهولا ثم مد يده اليسرى ليريني فاذا شريانه ينبض في مأبس العضد نبضا شديدا يشيل اللحمة حتى يعلو وينخفض دائما وقدرت في هذا الرجل ان حاله في النبض حال اصحاب الربو في النفس فهؤلاء على عظم انبساط صدورهم مايدخلها من الهواء الا القليل٠

يفهم من هذه الحالة ان الرجل يشكو من خفقان القلب بسبب توسع صمام الشريان الابهر( Aortic Incompetence) وبالفحص اكتشف ان نبضه عظيم جداً وهذا مايسمى( Water Hummer Pulse ) وعلى الرغم من عظم النبض في هذه الحالة فان الدم الذي يجهز الانسجة لايكون كافيا ذلك لانه يرجع الى القلب بعد ضخه منه ومن خلال الصمام المتوسع حينها يكون القلب في حالة انبساط والرازي يشبه مباشرة ذلك بحالة التنفس في المرضى المصابين في الربو حيث تكون التهوية في الرئتين غير جيدة على الرغم من اتساع صدورهم ( Emphy smatos chests )٠

أما بعد فأن هذه الامثلة على الملاحظات السرية ليست سوى قطرة من بحر وبعض من كثير منها من الكتاب الحاوي ولم نرد في هذا المقال ان نحصي كل الملاحظات بل ان نلقي الضوء على هذا الكتاب القيم وعلى هذا الجزء من التراث الطبي العربي كي ما يكون حافزا ودافعا للمزيد من البحث والتأليف الطبي المعاصر والله الموفق٠

## المصادر


١. عيون الانباء في طبقات الاطباء : ابن ابي اصيبعة ،احمد بن القاسم٠ شرح وتحقيق د٠نزار مهنا ١٩٦٥ ٠ منشورات مكتبة الحياة٠بيروت –لبنان

٢. تاريخ الحكماء : ابن القفطي ، جمال الدين علي بن يوسف٠ طبعة اوفست بلا تاريخ نشر مكتبة المثنى٠بغداد- العراق

٣. فوات الوفيات:الكتبي ،محمد بن شاكر ٠ تحقيق د٠ احسان عباس٠ ١٩٧٣ دار الثقافة-بيروت – لبنان

٤. الطب والاطباء في مختلف العصور الاسلامية:الدكتور محمود دياب ٠ ١٩٧٠ مكتبة الانجلو مصرية-القاهره- مصر

٥. مختصر تاريخ الطب العربي : الدكتور كمال السامرائي٠ ١٩٨٤ – دائرة الشؤون الثقافية والنشر – منشورات وزارة الثقافة والاعلام – سلسلة دراسات –بغداد العراق

٦. الطب عند العرب : الدكتور احمد شوكت الشطي ٠ سلسلة مع العرب (٧)٠ مؤسسة المطبوعات الحديثة٠بلا تاريخ –القاهرة

٧. كتاب الحاوي في الطب:الرازي ،ابو بكر ٠ تواريخ الاجزاء مختلفة٠ الطبعة الورقية- حيدر اباد الدكن-الهند

٨. شمس العرب تسطع على الغرب : زيغشريد هونكه ، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي ٠ ١٩٦٤ ٠ المكتب التجاري للطباعة ٠ بيروت ٠ لبنان

٩. الموجز في تاريخ الطب عند العرب : الدكتور رحاب خضر عكاوي ٠ ١٩٩٥ ٠ دار المناهل – بيروت ٠ لبنان

١٠. الموجز لما اضافه العرب في الطب و العلوم : الدكتور محمود الحاج قاسم محمد ٠ ١٩٧٤ مطبعة الارشاد ٠ بغداد – العراق ٠